

الجغرافيا في الألفية الثالثة : الواقع والتوقع

أن بوتيمر

قسم الجغرافيا ، كلية دبلن الجامعة ، إيرلندا ، رئيسة الاتحاد الجغرافي العالمي

ترجمة بتصريف

أ.د. مضر خليل عمر

الاستكشاف الجغرافي : من الملاحظة إلى التمثيل

تكمن الجغرافيا في قلب التقاليد العلمية في العديد من حضارات العالم ، وفي كل ما يدعو إلى الاستفسار عن طبيعة الكون وديناميكيات كوكب الأرض ، وكل ما يحفز للاستكشاف والمغامرة ، وتقصي تسمية الأماكن والمطالبة بها ، والنظريات المعنية بالعلاقات ما بين المجتمعات البشرية وبيئاتهم . كتخصص أكاديمي ومن خلال كورسات الجامعات و من خلال الأكاديميين انفسهم ، اكتسبت الجغرافيا اضافات اخرى ، بعضها لا جدال حولها . وخلال فترة تبلورها كتخصص علمي ، استمرت الجغرافيا تعمل كمرآة تعكس التذبذب والتباين في ثروات الامم و الامبراطوريات . لقد وضعت نفسها ضمن تركيبة محددة في منظومة التعليم و البحث العلمي ، وفي الوقت نفسه منسجمة مع اتجاهات التغيير في الافكار العلمية والممارسات العالمية . قادت الضغوط والشد بين الأكاديميين الموضوعيين والمتشددين الى اهمال جغرافية دراسة الحياة اليومية و التناقض في طرق الحياة ، و في مظاهر الارض والبيئات المنظمة .

لقد ورث القرن العشرين العديد من التحولات العميقة في ممارسات الجغرافيا . و عند النظر الى اتجاهات التغيير التي توحى بالعديد من المجالات الاجتماعية والثقافية التي قد تشكلت في علم المعرفة واعتمدها الجغرافيا . ومع نهاية القرن الماضي مالت مدارس ما بعد الحداثة الى تعددية التفسيرات والشك الواسع في التعميمات السابقة . غالبًا ما يبدو أن المحتوى الموضوعي يحتل مكانًا جيدًا لنقد طرق الرؤية وطرق الممارسة . وقد سهلت المناهج والسياقية المعتمدة تفسيرات غير متجانسة للفكر والممارسة العلمية ، وللعلم بأكمله ، في الواقع ، عدت بمثابة معارف تاريخية . في حين أنه من المهم بشكل واضح تقدير أوجه التآزر الفعالة داخل العلم والمجتمع في لحظات معينة ، فمن المفيد أيضًا البحث عن نظرة ثاقبة للتغييرات العامة بمرور الزمن . وفي خطر التعميم المفرط ، والتركيز بشكل أساسي على النصف الأخير من القرن العشرين ، اسمحو لي أن أقترح سردًا من أربع مراحل حول المواقف المتغيرة ، من الملاحظة إلى المشاركة ، إلى التفسير ، إلى التمثيل (التجسيد) .

الجغرافيا كتمثيل للواقع	
منذ عد الجغرافيا كتخصص أكاديمي حتى اواسط القرن 20	
استكشاف	الممارسة
حفظ وتخزين معلومات	
رسم الخرائط	
وطني الاستعمار	الاهتمامات
تجاري	
عسكري	
تأسيسية	المعرفة
مجالية مكانية	
نظرية و قوانين	

في الفترات المبكرة لتشكيل الاختصاص ، افتخر الجغرافيون بمهاراتهم في الملاحظة والتمثيل الخرائطي للواقع . فمنذ بداياتها كنظام أكاديمي ، أثبتت الجغرافيا أنها أرض تدريب قيمة لاستكشاف وفهم وغزو المجال والموارد ، لفرض النظام الذي تعده السلطات الإدارية عقلاً ، للحصول على معلومات حول المناطق والمسافات بين النباتات والحيوانات ، الشعوب والثقافات ، في فئات اللغة والأطر السردية المفهومة في الوطن . فقد عدت المعرفة الجغرافية موضوعية ، تركز على أسس معرفية .

وسرعان ما أدرك المرء بعد منتصف القرن الماضي ما إذا كانت الاختلافات في تصورات الواقع والمصادر الجغرافية للمصالح التي تتعارض في الوصول إلى المجال والموارد : النخبة مقابل الشعبية ، والإدارية مقابل المستهلك ، والغزاة مقابل السكان الأصليين . لا بد من التفاوض على المعرفة والحقيقة بطريقة جدلية ، وكان للتغييرات النموذجية في مختلف التخصصات آثاراً عميقة على ترابط السلطة والمعرفة داخل المجتمعات . بدت البصيرة من علم الاجتماع أكثر ملاءمة من تلك الموجودة في الفلسفة التحليلية . وفي السبعينات ادرك أن الملاحظات ، في الواقع ، كانت من خلال المشاركة في عملية البحث والتقصي . وقد أخذ التأويل بتوحيد - وأحياناً استبدال - نظرية المعرفة في الدورات الأساسية لطلاب الدراسات العليا .

الملاحظة - المشاركة - التفسير - التمثيل				
1990s	1980s	1970s	1960s	
التمثيل	التفسير	المشاركة	الملاحظة	
وسائط عينات	نصوص سياقات	داخل و خارج	استكشاف	الممارسات
تفكيك	تفكيك	مؤيد ومعزز	تجميع و خزن	
استذكار	لغة	نمذجة	رسم الخرائط	
الهوية	تركيب اجتماعي	عدالة اجتماعية	وطني استعمار	الاهتمامات
التنوع	سلطة و معرفة	المساواة	تجاري	
البيئة	العادات	اعادة تشكيل	عسكري	
علاقات	مابعد التأسيس	جدلي	تاسيسي	المعرفة
اعلام	ما بين الذاتي	ذاتي	موضوعي	
توقيع	استعارات	نموذج	نظرية وقوانين	
الواسطة				
الجماليات الاخلاق	التاويل	علم الاجتماع	علم المعرفة	الانعكاس

في عصر ما بعد التأسيس ، تركز الاهتمام على التفسيرات والخطابات المبنية اجتماعياً . في هذه الخطابات أيضاً ، وجد دليلاً على تحيزات إمبريالية أو جنسية أو عنصرية أو غيرها . وبحلول التسعينيات ، تم لفت الانتباه بشكل خاص إلى قضايا التمثيل والخطابات الوسيطة والعناصر الجمالية والأخلاقية للنصوص الجغرافية . في نهاية القرن ، كان الجغرافيون أكثر ثقة بالنفس ، على الأقل في قدراتهم على التفكير النقدي في الممارسات المسلم بها داخل التخصص . امتدت الاهتمامات إلى ما وراء مسائل الأسلوب المعرفي أو المصادقية الفكرية ، بل تجاوزت قضايا البناء الاجتماعي والأهمية المجتمعية لقضايا التمثيل ، وجماليات العرض والعلامات والرموز والأيقونات والهوية . لقد استطاع أحدهم التعرف على الجغرافيين المتنوعين ، والبحث في أصولهم ، وأنماط التعبير ، والإنتاج والاستلام ، فضلاً عن الآثار المترتبة على بناء الصورة - للذات والآخر ، ومكان المنزل والمساحة الأخرى ، والطبيعة والجنس والثقافة . ومع ذلك ، في نهاية القرن ، ظهرت موجة جديدة من المراقبة عبر الأقمار الصناعية ومعالجة البيانات الإلكترونية . وتساءل الكثيرون عما

إذا كانت هذه الكفاءة التقنية المعززة والكميات المتزايدة من المعلومات ستؤدي إلى فهم أفضل للقضايا العالمية . قليلون أنكروا مشكلة التفسير الدائمة .

التناقض والاحتمال

كشفت فجر الألفية الثالثة عن الكثير من التناقضات الرائعة . فالعالم الأكاديمي ككل يواجه معضلات بعض الأشخاص الذين لديهم تأثير خاص على الجغرافيين . جلب التخصص الوظيفي بين مجالات المعرفة مزايا كبيرة ورؤى أعمق في ظواهر وعمليات معينة ، لكنه أدى إلى تفتيت الخبرة وصعوبات في تكامل النتائج . في الوقت نفسه ، كان هناك تقدما غير مسبوق في تقنيات التعليم المجتمعي . تثار أسئلة حول ما إذا كانت هذه الاتجاهات يمكن أن تكون متوازنة وبشكل متبادل أو تعزز بعضها البعض؟

ومن المفارقات أيضاً أنه بينما تتطلع الإنسانية العالمية إلى العلم للحصول على توضيحات أو حلول لمشاكل البيئة العالمية ، يبدو أن العديد من الباحثين الأكاديميين - بمن فيهم الجغرافيون - منشغلون بالأسئلة الداخلية (التخصصية). يُعرف العلماء بأنهم متخصصون موضعين ضمن نماذج التخصصات الفرعية بدلاً من المهنة ككل . يعتمد التقدم الوظيفي على تمويل خارجي للبحث والشبكة في المجالات المتخصصة . وهكذا تثار أسئلة حول الآثار العملية الأوسع للتخصص الوظيفي : هل عزز قدرتنا على فهم المشاكل البيئية ؟ أم أنه في الواقع أعاقها ؟

إن علامات الضائفة البيئية الشديدة تحيط بنا في كل مكان ، كما ذكر كوفي عنان الجغرافيين الأمريكيين في خطاب عام أمام AAG في مارس 2001 ، أن الممارسات غير المستدامة منسوجة بعمق في نسيج الحياة الحديثة . تدهور الأراضي يهدد الأمن الغذائي . تدمير الغابات يهدد التنوع البيولوجي . تلوث المياه يهدد الصحة العامة ، وقد تصبح المنافسة الشرسة على المياه مصدرًا للصراع والحروب في المستقبل . **الاهتمامات البيئية هي قضايا الأمن القومي في المستقبل .**

لقد شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين بالفعل زيادة هائلة في برامج البحوث البيئية العالمية . يوجد الآن دليل علمي لا جدال فيه على أن الأنشطة البشرية تعمل على زعزعة استقرار المناخ العالمي . بدأت أزمات الغذاء والمرض في بعض أغنى دول العالم الآن في التساؤل عن الأسس العلمية التي استندت إليها خطط التنمية في العقود السابقة . يزعم كبار العلماء بشكل متزايد أن الاقتصاد والبيئة لا يجب عدما متعارضين بشكل متبادل . كان هذا الفهم بأن **التنمية يجب أن تكون مستدامة** كان الاختراق المفاهيمي لقمة الأرض عام 1992 ؛ أشار كوفي عنان ، مع ذلك ، في السنوات التي تلت ذلك ، كنا في كثير من الأحيان نواصل العمل كالمعتاد .

بالنسبة للجغرافيين في جميع أنحاء العالم ، هناك بالتأكيد معضلة كبيرة هنا . على الرغم من الاستثمار المثير للإعجاب في برامج البحث والمنشورات والإعلانات التقليدية ، إلا أن عدد المشكلات البيئية ونطاقها وخطورتها في ازدياد مستمر . أسئلة حول ما إذا كانت الممارسات العلمية المسلم بها كافية لتوضيح و / أو حل القضايا البيئية ، أو في الواقع ما إذا كانت ممارساتنا المسلم بها وتطبيقاتها قد تكون جزءاً من المشكلة ؟ تتجاوز الأسئلة الأساسية نظرية المعرفة ، كما اعترف مؤرخو الفكر الجغرافي منذ زمن بعيد . تظهر أصعب التحديات في نقل النتائج والبيانات العلمية حول ما يجب أن يكون في شروط السياسة . غالباً ما كان هناك بالفعل فشل في الاعتراف بالاختلافات الجوهرية بين الخطاب الوصفي والمعياري . من الحقائق الرئيسية المخيبة للأمل في فجر الألفية هي بالتأكيد فشل الأفراد والمؤسسات والحكومات في الأجزاء الصناعية وما بعد الصناعية الغنية من العالم في تغيير السلوك ، والتشكيك في أساليب الحياة وأساليب التفكير المسلم بها . وبالتالي ، فإن التفكير النقدي الجذري في القيم والتقاليد الشعبية المسلم بها داخل الأوساط الأكاديمية يظل مهماً دائماً . **النتائج المترتبة على البنى الاجتماعية للخبرة العلمية لها أهمية ملموسة للغاية بالنسبة للجغرافيين . في حين أن معظم الأماكن والأحداث والظواهر المكانية في العالم اليوم تخضع لتأثيرات تتجاوز**

الحدود الإقليمية ، ما تزال ممارسة الجغرافيا محصورة بإحكام داخل المؤسسات الوطنية . في الوقت الذي توجد فيه حاجة ماسة إلى التعاون عبر الوطني وعبر التخصصات ، تخضع الممارسات الأكاديمية لقيود تقلد ذلك أو على الأقل تثبطه .

التخصصات هي بنود متسلسلة في ميزانيات الجامعات ؛ يتنافسون على التمويل داخل الوزارات الوطنية ومجالس البحث ؛ يتم الحصول على الدرجات العلمية والدبلومات من خلال مناهج تخصصية محددة . نظرًا لتقاليدنا في الدراسة المقارنة ومتعددة المقاييس ، هل يمكن للجغرافيين ألا يضطلعوا بأدوار قيادية في تسهيل التعاون الدولي وفي تقديم الأسس العلمية السليمة التي يمكن على أساسها تحقيق الانضباط عبر التخصصات ؟

الجغرافيا في الألفية الثالثة

قد تحدد كل دولة ومجموعة من الجغرافيين أولويات مختلفة من بين التحديات التي تواجهنا . لكن من الصعب تصور نتائج ناجحة دون تحسين التعاون الدولي والمتعدد التخصصات . هل يستطيع الجغرافيون في المكسيك ، جنبًا إلى جنب مع زملائهم في جميع أنحاء أمريكا اللاتينية ، حشد الجهود والموارد لتولي أدوار قيادية في البحث عن حلول مبتكرة ؟ إعادة تذكير بإنجازات هامبولت البارزة في السفر العلمي ، ألا توجد رحلات استكشافية في الواقع الحي لهذا البلد اليوم ، والتي يمكن أن تقدم توضيحًا تجريبيًا للطرق المستقبلية ؟ هنا ، كما هو الحال في جميع البيئات الأخرى تقريبًا حيث الجغرافيا هي ممارسات اليوم ، هناك مفارقات وألغاز في موروثة الأجيال السابقة والتي يمكن أن تكون محفزات رئيسية للإبداع في تشكيل نظام مجهز للألفية الثالثة .

نصان موجزان يوضحان شيئًا من تحدياتنا الفكرية الناشئة من القرن العشرين . من التأملات النقدية حول تأثيرات الحداثة واليقين الديكارتي التقليدي ، احتفل كتاب ما بعد الحداثة بأوجه عدم اليقين المتعلقة بالمعرفة الجغرافية ورسم الخرائط التقليدي :

إن الكرة الأرضية التي ظهرت على مدار نصف ألف عام بين عامي 1450 و 1950 منقوشة بثنيتها الخطية لخطوط الطول والعرض ، وخطوط السواحل القارية والأراضي السياسية ، تم تهجيرها بسبب الأسطح غير الواضحة والنسبية لصور الأقمار الصناعية للأرض ، والترابطات من الفضاء الفائق العالمي الافتراضي ، والأقاليم القابلة للاختراق لمجال ما بعد الاستعمار اللامركزية ، في مثل هذا الزمان المرن والغريب ، تكتسب محاولات رسم خريطة للعصر الألفي في مواقع محددة قدرًا كبيرًا من التأثير .

بينما استكشف الجغرافيون الثقافيون الجدد أفكار التمثيل الإبداعي ورسم الخرائط الأدائية وجماليات العرض ، تحسر الجغرافيون البيئيون على فقدان الوضوح المعرفي والارتباك المقلق للاتجاهات العالمية المعاصرة :

العلاقة بين النظم الاقتصادية والبيئية العالمية علاقة معقدة للغاية وتكثر فيها المفارقات . من ناحية ، نقبل نموذجًا للإنتاج البشري المتزايد بشكل كبير ، ومن ناحية أخرى نحن ندرك بشكل متزايد ضعف أنظمة دعم الحياة الأساسية التي توفر المواد الخام وقدرة استيعاب النفايات التي نعتمد عليها . يسود الارتباك الفكري . إن تعقيد هذه العلاقات مرئي على أي مستويات وفي العديد من المجالات المختلفة ، والتي لا يمكن فهم أي منها بشكل كامل بمعزل عن غيرها .

يتردد صدى كل من هذه النصوص في تراث التعيينات في أواخر القرن العشرين ؛ ما بعد البنيوية ، ما بعد الاستعمار ، ما بعد الحداثة ؛ مناهاضوها المتعددون المرهقون : مناهاضون للإمبريالية ، ومعادون للرأسمالية ، وحتى مناهاضون للاشتراكية . مع اقتراب القرن ، بدأ أننا أكثر ثقة بما كنا ضد ما نتمنى التحرر منه أكثر مما كنا نتمنى الحرية من أجله . ومع ذلك ، فإن إحدى النتائج المدوية للانعكاسات الأخيرة هي

الاعتراف بأن هناك أنواعًا مختلفة من المعارف الجغرافية - الأكاديمية والشعبية والتطبيقية وغيرها - كل منها تم بناؤه ونشره في سياق معين ويخدم مصالح إنسانية معينة - بدلاً من شكل واحد من المعرفة يسمى الجغرافيا.

في هذا السياق ، ألا يمكن للمرء الآن أن يجرؤ على إعادة تعريف بعض التحديات التي تواجه البشرية والبيئة اليوم من حيث المعارف الجغرافية المتنافسة أو المتنازع عليها أو المتضاربة ؟ ألا يمكن أن تقدم هذه البصيرة مناهج جديدة للقضايا البيئية العالمية ؟ ضمن كل من هذه المعارف يمكن للمرء أن يكتشف بسهولة عناصر كل من الوصفية والمعيارية ، أي الحقائق المقبولة عمومًا حول ما هو والمعايير المقبولة عمومًا لما يجب أن يكون . تتمثل إحدى الفرص المركزية للجغرافيين اليوم في فتح حوارًا حول نقاط القوة والقيود النسبية لهذه المعارف المتنوعة ، وتقييمها أيضًا من حيث مدى ملاءمتها لطرق الحياة المستدامة في المستقبل . في الجغرافيا نفسها يجد المرء أنواعًا مختلفة من المعارف التي تمتد عبر العلوم الطبيعية والإنسانية والعلوم الاجتماعية . في المجتمع الجغرافي الدولي ، ألا يجب أن نكون قادرين على استضافة مثل هذا الحوار ؟ في الواقع ، يقر إعلان اليونسكو الأخير حول العلم واستخدام المعرفة العلمية بقيمة المعارف الجغرافية المتنوعة :

لا يشكل العلم الحديث الشكل الوحيد للمعرفة ويلزم إنشاء روابط أوثق بين هذا وغيره من الأشكال والأنظمة والنهج للمعرفة ، من أجل إثرائها المتبادل والمنفعة تمثل أنظمة المعرفة هذه ثروة هائلة ، لا تفعل ذلك فقط أنها تحتوي على معلومات لم تكن معروفة حتى الآن للعلم الحديث ، ولكنها أيضًا تعبيرات عن طرق أخرى للعيش في العالم ، وعلاقات أخرى بين المجتمع والطبيعة ، ومقاربات أخرى لتكوين المعرفة وبناء المعرفة (اليونسكو ، 2000 ، الفقرة 35 ، 36 ، 27).

- سيكون الجغرافي المثالي في الألفية القادمة هو الشخص الذي
- يسعى إلى فهم طبيعة وديناميكيات الأنظمة العالمية العامة ويظل راسخًا بقوة في سياقات محلية / إقليمية معينة .
 - مع القدرة على فهم الأنماط الأوسع بشكل نسبي ،
 - وبالتالي التعرف على أين وكيف يمكن أن تؤثر المؤثرات من عالم ما بشكل إيجابي أو سلبي على الآخرين ،

يمكن للجغرافيين أن يصبحوا حافزًا للحوار بين المصالح المحلية المتنازع عليها والمتنافسة . وداخل المجتمع الأكاديمي ، يمكن للجغرافيين استضافة وتعزيز مناهج بحثية عابرة للنوع ، مؤطرة في نهاية المطاف بطرق تسلط الضوء على التفاعلات بين الجوانب البشرية والفيزيائية الحيوية للقضايا البيئية.

وهذا ما حاوله عدد من الجغرافيين خلال قرن ونصف ماضيا . سعى علماء مثل Geogrg Perkins Marsh و Elisee Reclus و Jean Brunhes و Pierre Deffontaines و Dudley Stamp و Gilbert White - على سبيل المثال لا الحصر - إلى إثارة وجهات نظر أوسع حول العلاقات الإنسانية والبيئة . خلال رحلاته في أمريكا اللاتينية ، وجد ألكسندر فون هومبولت مصدر إلهام للبراعة الاجتماعية للشعوب الأصلية في تكيفها مع البيئات القاسية في بعض الأحيان . وبالمثل Elisee Reclus التي تعلمت الكثير من طرق الحياة الجماعية التي شهدتها هنا مباشرة . أصوات أمريكا اللاتينية على مر القرون ، من دي لاس كاساس إلى بابلو نيرودا ، ومن غابرييل جارسيا ماركيز إلى ميغيل . أستورياس ، وخورخي بورخيس إلى إيزابيل أليندي ، وهبوا العالم برؤية رائعة . وقد تم أخيرًا سماع رسائل القرن العشرين مثل رسائل هيلدر كامارا وبولو فريير وإيفان إيش وسلالات التحرير الأخرى . في البرامج الدولية التي حظيت بدعاية كبيرة مثل برامج MAB و SCOPE و UNEP و IGBP و IHDP ، يسمع المرء

اليوم عن التنمية البشرية الحقيقية من أسفل إلى أعلى مقابل من أعلى إلى أسفل. هذه المخططات التي تضم الآن العلماء من مجموعة واسعة من التخصصات من الجيوفيزياء إلى الاقتصاد إلى الأخلاق - بدأها الجغرافيون جميعاً. كان دورنا يتمثل في إثارة الوعي وحتى رسم دورات جديدة لمتخصصين آخرين أكثر تخصصاً لمتبعوها.

مثل هذا الدور ، شعوريًا ورياديًا في آن واحد ، سيبقى أحد أهم أدوار الجغرافيا بين المجالات الدراسية خلال الألفية الثالثة . وهنا في Instituto de Geografia ، خبرته الرائعة وبنيتها التحتية الجديدة لكل من الجغرافيا البشرية والطبيعية ، هناك فرصا لاستكشاف ليس فقط المظاهر الطبيعية وطرق الحياة المتنوعة الرائعة في المكسيك ، والتراث الطبيعي والثقافي ، ولكن أيضًا طرق الحفاظ على التنوع والصحة في السياقات في أماكن أخرى والتي يهيمن عليها بشكل متزايد ما يسمى بقوى السوق العالمية . هنا على مفترق الطرق بين الشمال والجنوب ، مع روابط سهلة مع عوالم المحيط الأطلسي والمحيط الهادئ ، يجب أن تكشف الأفاق بالفعل عن العديد من التحديات المثيرة . يمكن للجغرافيين المكسيكيين الشباب اليوم أن يتعاملوا مع موضوعهم بوعي أفضل لتراثهم الفكري ، ونقاط القوة والقيود المفروضة على النماذج المختلفة التي تمتعت برواج البيانات الأخرى . ندرك جيدًا أن النماذج التي نشأت من جيل سابق قد لا تكون مناسبة لتوضيح الحقائق الجغرافية الحية اليوم ، لذا فإن المستقبل يغري بالاختراع بالإضافة إلى الجرد والنقاش والحوار وكذلك التنديد ، ويدعوك إلى الحصاد من التأملات بناءً على التجربة التاريخية ، تلك الطاقات اللازمة لتوضيح المناطق الجغرافية الناشئة لهذه الألفية الجديدة .

Instituto de Geografia
Universidad Nacional Autónoma de México
Mayo de 2001

Geography for the Third Millenium: inventory and prospect

Anne Buttner
Department of Geography
University College Dublin, Ireland
President, International Geographical Union
e-mail: annab@pop3.uod.ie